African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 2, Issue 2, April-June 2023, Page No: 403-415
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2022: 1.04 SJIFactor 2022: 4.338 ISI 2022: 0.510

هجرة الأفارقة غير النظامية إلى تونس بين الوصم والإمكان: مخيم الشوشة بنقردان أنموذجاً

الحسين السعيدي *
أستاذ، قسم الإنثروبولوجيا، بالمعهد العالي للفنون والحرف تطاوين، جامعة قابس، تونس

Irregular Migration of Africans to Tunisia Between Stigma and Possibility: Choucha Camp in Guerdane as An Example

Houcine Saidi*
Professor, Department of Anthropology, Higher Institute of Arts and Crafts of Tataouine, University of Gabes, Tunisia

*Corresponding author houcine.saidi.saidi@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2023-03-25 **تاريخ القبول:** 2023-04-23 **تاريخ النشر:** 2023-04-30

الملخص:
يمثل هذا العمل دراسة اجتماعية حول مسألة إشكالية اندماج بعض اللاجئين الأفارقة في مخيم الشوشة بمدينة بن قردان، وما لها من خصوصية اجتماعية ونفسية كما يصورها اللاجئون أنفسهم وكما يصورها المجتمع هذا إلى جانب تأثير مخيم اللاجئين نفسه على تشكيل هوية هذه المجموعة كرمز للنكبة والمعاناة كما اهتم هذا العمل بدراسة مكونات الهوية والظروف المحيطة بعمليات إدماجهم ومن ذلك الظروف المعيشة مثل قسوة المكان والتنميط الخارجي لهذه الجماعات "باعتبارها مجموعات اجتماعية مختلفة العرق والدين وهنا تنشأ جملة من الأحكام المسبقة تشعر اللاجئين بالدونية والتميز العنصري وكذلك بالتنميط المستهدف لهؤلاء وإعادة بناء تخيلهم لذاتهم والشعور بالوصم.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الاندماج الاجتماعي، الوصم، التكيف، الجذب.

Abstract
This work represents a social study on the issue of the problem of the integration of some African refugees in the Choucha camp in the city of Ben Guerdane, and its social and psychological specificity as portrayed by the refugees themselves and as portrayed by society, in addition to the impact of the refugee camp itself on the formation of the identity of this group as a symbol of the Nakba and suffering. A series of prejudices arise that make refugees feel inferior and racially discriminated against, as well as targeted stereotyping of these refugees, reconstructing their self-imagining and feeling stigmatized.

Keywords: Abandonment, Social Integration, Stigma, Adaptation, Attraction.

مقدمة:

لم تكن ظاهرة الهجرة جديدة عن المجتمعات بل هي قديمة متجددة وهي ظاهرة اجتماعية كلية بتعبيرة "مارسيل موس" ذات الأبعاد المتلازمة والمندمجة المختلفة منها والاجتماعية والثقافية الاقتصادية والسياسية والرمزية والاضطرارية وغيرها، وتتصدر بحثنا هذا هجرة الأفارقة إلي تونس والتي انطلقت بصفة كبيرة منذ وقوع الأحداث في ليبيا وقد لعبت هذه الظاهرة دورا كبيرا في نقل الثقافات والإنجازات والمهارات بين الشعوب وخلقت تفاعلا خلاقا بين الحضارات وبالأخص بين الشعوب المنتمين لمختلف الحضارات التي احتك بعضها ببعض (أنطونيوس كرم 2006). ويتخذ هذا الحراك اتجاهات مختلفة أي بين مختلف المجتمعات، حيث لاحظنا هجرة كبيرة بعد سنة 2011 بين ليبيا وتونس ونتج عنها بعض علاقات المصاهرة خاصة بين الليبيين والتونسيين وبعض الأفارقة، لكن بعد غلق المخيم لاحظنا وقوع مشاكل أخري نتجت عن هجرة أو الحرقة لبعض الأفارقة إلي أوروبا عبر البحر ولكن اعتراضهم السلطات التونسية في البحر ومنعهم من الحرقة كلها عوامل ساهمت في نقمة الأفارقة عن السلطات التونسية ودخولهم في الانحراف حيث أفرزت هجرة الأفارقة أثارا اجتماعية وثقافية عميقة تمس الفرد المهاجر وعلاقته بعائلته ومجتمعه الأصلي بسبب بعده وتغير نمط الحياة لديه رغم توفر وسائل التواصل الاجتماعي إلا إنها تختلف أهميتها ووظيفتها كما في التواصل والتعامل المباشر إلى الوسائل الحديثة المختلفة وخلقت ما بات يعرف اليوم بالعائلة "المعولمة" لتفرز قضايا اجتماعية وثقافية مندمجة مؤثرة لترتبط في ما بينها بارتباط وثيق، كما تؤدي هذه التحديات الجديدة أيضا إلى تغير في وظائف تربية الناشئة جراء انفتاحها على مجتمعات مغايرة فرضت تلاحم الثقافات المختلفة، تفضي إلى مسألة التثاقف Acculturation بسبب "الاحتكاك الثقافي" بين الفئات المختلفة، كل هذه القضايا التي تطرح بقوة لدى المهاجرون الأفارقة وقد تجسدت الآثار الاجتماعية والثقافية لدى الفرد المهاجر في علاقته بالمجتمع الحاضن له وما يثيره هذا الواقع الجديد لديه من قضايا اجتماعية تتعلق خاصة بمسألة الاندماج والتكيف الاجتماعي في واقع معيشي يومي بما يتضمنه من ثقافات وفروقات في اللغة واللون وتقاليد جديدة ومغايرة تنتسب إلى جنسيات مختلطة ومتعايشة في نفس المحيط يستوجب الاندماج في صلبها، وفي نفس الوقت المحافظة على خصوصيتها وهويتها الفردية والوطنية التي جاء بها وفرضها في الواقع الجديد، رغم إن القدرة الاندماجية لبعض المهاجرون وخاصة من أصلي السودان هي أكبر من غيرهم من المهاجرين بحكم وضعهم الديني واللغة الأكثر تقاربا من المجتمع المحلي مما جعل منهم من دخل في علاقات مصاهرة.

ولم تكن تونس بمعزل عن هذه الظاهرة، فقد عرفت كغيرها من البلدان بهجرة العديد من الأفارقة ولكن تعتبر تونس منطق جذب نظرا لموقعها الجغرافي القريب من البحر الأبيض المتوسط على غرار الدول الأخرى وهذا ما جعلها تكون منطقة عبور لبعض الأفارقة

إشكالية البحث:

إن الناظر في ظاهرة قدوم اللاجئين الأفارقة إلى تونس وكيفية تعامل الحكومة والمجتمع التونسي معهم يخطر إلى ذهنه لأول وهلة أنّه سلوك إنساني بامتياز، إلا أن الناظر إلى هذه الظاهرة من الداخل يلاحظ وجود عدد من الإشكالات والعوائق التي تعترضهم وخاصة في كيفية اندماجهم ضمن المجتمع التونسي وظروف عيشهم، وصعوبة اندماجهم وخاصة ما تعرضوا له من نعت ووصف ويعكس هذا العمل هذه الإشكالات، ذلك أنه بعد قبول الحكومة التونسية في بداية الأمر اللاجئين بصفة وقتية ومحددة برزت صعوباتت لم تكن في الحسبان، وهي امتناع مجموعة من اللاجئين عن العودة إلى بلدانهم ورفض المنظمات ترحيلهم، فأصروا على العيش في تونس بصفة وقتية رغم جملة العوائق الملتبسة بهذا الاختيار ولعل أهمها إشكال الاندماج وظروف العيش وكيفية تعامل المجتمع التونسي مع هذه الفئات، هذا الأمر جعلهم يشعرون بالوصم وبتنميط الذات وفي هذا الإطار تتنزل مشكلة هذا البحث، والذي يتضمن قراءة سوسيولوجية في بعض مضامين هجرة بعض الأفارقة والسعي للوقوف على الآثار التنموية والاجتماعية والثقافية وعلى بعض حيثيات وتفاصيل هذه الظاهرة استنادا إلى نتائج بحث ميداني يتعلق بمجتمع الدراسة المذكور.

الفرضيات:

كلما تقاربت الثقافات المجتمعية كالدين والمعتقد كان الاندماج أسهل

وهل يمكن القول إن لون البشرة والإحساس بالميز العنصري ساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في ظاهرة الوصم لدي اللاجئين أم أن النعت ببعض الألفاظ (كا يكحله يا وصيف) أثر بشدة في قيمة اللاجئ

- هل يمكن القول إنّ المجتمع التونسي مجتمع عنصري بما أن اللاجئين لم يتمكنـــوا من الاندماج داخل الجمهورية التونسية بل بقوا منحصرين في بعض المعتديات الساحلية أم أن لهم أهداف أخرى هي الهجرة إلى الدول الأوروبية

أم أن ثنائية العوامل الطاردة من المجتمع الأصلي من جهة، والأخرى الجاذبة في المجتمع الحاضن من جهة أخرى تجعل من الهجرة الملاذ الأنسب لتحسين ظروفه الاجتماعية خاصة رغم ما لهذه الظاهرة من عواقب **وآثار** سوسيولوجية اجتماعية وثقافية وتنموية عميقة تتعلق خاصة بالمجتمع الأصلي، وأيضا على المهاجر وفي علاقته بالمجتمع الحاضن له.

الإطار النظري للبحث:

- **المفاهيم الأساسية للبحث:**

يتفق الباحثون بأن مشكلة الدارسات الاجتماعية تكمن أساسا في المفاهيم، وعليه فإنه لا بد للباحث من تحديد أهم المصطلحات التي يتضمنها بحثه، وقد تم تحديد عدة مصطلحات ذات العلاقة من ذلك مفاهيم الهجرة، والطرد، والجذب، والتكيف الاجتماعي، والاندماج الاجتماعي، ، وفي ما يلي بعض المفاهيم:

- الهجرة:

هي "انتقال الإنسان من مكان يدعي المكان الأصلي أو مكان المغادرة إلى آخر يدعي المكان المقصود أو مكان الوصول بشرط أن يتجاوز الانتقال حدودا إدارية أو سياسية. وهي أيضا التغير الدائم أو شبه الدائم لمكان الإقامة بغض النظر عن المسافة المقطوعة مؤثرة بذلك على عدد السكان شأنها شأن حركة السكان الطبيعية.

والمهاجر هو الشخص الذي يغير مقر سكناه المعتاد لفترة زمنية معقولة عابرا حدودا إدارية داخل الدولة الواحدة أو سياسية من دولة إلى أخرى (لبيب، على 2004).

وقد عرف عالما الاجتماع الفرنسيان "جوزيف سانت sumpt joseph " و"ميشـال إيجـيس Hugues " Michel" الهجرة بأنها "حركة دائمة تقريبا أو دورية للجماعات البشرية تمتد لفترة زمنية كافي.

- الجذب:

"إنّ عوامل الجذب هي الأسباب التي تجعل الناس ينجذبون إلى منطقة معينة، لأنها أكثر خصوبة مثلاً، أو لأنّ المخاطر النّاجمة عن الكوارث الطبيعيّة فيها أقل، أو فرص العمل فيها مرتفعة، أو للبحث عن مصادر للثروة، أو لتوفُّر خدمات أفضل أو مناخ جيد، أو للبحث عن مناطق أكثر أماناً حيث معدلات الجرائم فيها أقل، حيث يكون الاستقرار السياسيّ".

- الطرد:

"إنّ عوامل الطرد هي أسباب الهجرة التي تجعل الناس يغادرون أماكن عيشهم للعيش في أماكن أخرى، ومن الأمثلة عليها: نقص الخدمات، وفشل الزراعة، والفيضانات، والجفاف، وانعدام الأمن بسبب الحروب أو ارتفاع معدلات الجرائم والفقر

- التكيف الاجتماعي:

يشير مفهوم التكيف في معناه العام، إلى فكرة الترابط أو التبعية البيئية بين عناصر أو وحدات مجموع ما، ينظر إليها من منظور نسقي. ويقوم هذا الترابط البيني على "التلاؤم بين مكونات النسق مع بعضها بعضا"، كما أكد على ذلك المفكر الاجتماعي تالكوت بارسونز في مؤلفه النسق الاجتماعي.

وتعتبر مرحلة التكيف مرحلة سابقة للاندماج لحياة الفرد في جماعة مغايرة اجتماعيا أو ثقافيا أو سلوكيا، و"الاستعداد والقدرة على التغير والتعامل مع الظروف الاجتماعية المختلفة والاستجابة لمستجدات الحياة الاجتماعية، وما تحفل به من متغيرات اجتماعية جديدة، والقدرة على التعايش مع المجتمع الجديد الذي يعيش فيه الفرد: بأفراده، وعاداته وتقاليده، والقوانين التي تنظم علاقة الأفراد بعضهم ببعض" (الصغير، محمد صالح بن محمد 2001)

ولقد تناول الدارسون العلاقة بين مصطلح التكيف ومصطلحات أخرى كالاندماج والانصهار وغيرها والتي ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً، فهي عملية سلوكية معقدة تعكس علاقة الفرد مع المحيط لغاية التوازن أو التوافق أو الانسجام مع التغيرات الجديدة بالمحيط، وقد يشمل المحيط البيئة الاجتماعية ليحصل التكيف الاجتماعي، أو البيئة الثقافية أو حتى البيئة الطبيعية، كما يستخدم لفظ التكيف للدلالة على التناسب والتلاؤم بين متغيرين أثنين أو أكثر، أو هو عمل ارتباط بينهما أو توفير الراحة للناس.

- الاندماج الاجتماعي:

الاندماج الاجتماعي هو "مفهوم ينشئه كل مجتمع وكل جماعة بهدف انتقال الأفراد والجماعات من حالة المواجهة والصراع الى حال العيش معاً، كما يعبّر الاندماج عن مجموعة من التفاعلات بين عناصر مختلفة داخل مجموعة ما، وهو ما يؤدي إلى إحساسها بضرورة التماثل والانسجام فيما بينها، بآليات وطرق مختلفة ومتنوعة، ولذلك فإن الاندماج يحيل إلى وضعية فرد أو جماعة أو شريحة اجتماعية هي في تفاعل مع أفراد آخرون أو مجموعات أخرى تتقاسم معها نفس القيم والمعايير داخل المجتمعات التي تنتمي إليه (صالح، عماد فاروق محمد2004)" كما يعني الاندماج "التوحد والانصهار، وهي معاني تناقض العزلة والصراع والانقسام والتناقض، ويلعب التثاقف دوراً مهماً وأساسياً في تشكيل عملية الاندماج، وهي تمتد في الزمان والمكان بحيث يصعب حصرها في حدود معينة، لأن التثاقف يحصل من تبادل التأثيرات، بما يؤدي إلى الاتصال بين المجموعات وإضعاف عمليات الاختلاف بينها ككل".

والاندماج الاجتماعي مفهوم ينشئه كل مجتمع وكل جماعة بهدف انتقال الأفراد والجماعات من حالة المواجهة والصراع إلى حالة العيش معا.

كما يعبر الاندماج الاجتماعي عن صورة من صور القدرة على الوصول إلى المنظومات السياسية والقانونية اللازمة لجعل هذه الحقوق واقعا حيا، وهي بهذا المعنى عكس مصطلح الاستبعاد الاجتماعي الذي وصفه "ماكس فيبر" على أنه أحد أشكال الانغلاق الاجتماعي. فقد كان " فيبر" يرى أن الانغلاق الاستعبادي بمنزلة المحاولة التي تقوم بها جماعة لتؤمن لنفسها مركزا متميزا على حساب جماعة أخرى). كما أن الاندماج الاجتماعي أتى ليعكس واقعا فعليا لحالة الإقصاء الاجتماعي Exclusion Social التي يمكن أن تسود مجتمعا من المجتمعات، نتيجة ظروف حياتية يمر بها في فترة من الزمن"

الوصم:

الوصم في اللغة العربية، هو العار والعيب، والعقد في العود، ويقال وصم فلانا أي: عابه، ولطخه بقبيح، تنقص من قدره، وفي الاصطلاح: حسب عالم الاجتماع "إرفينغ كوفمان" باعتباره أول من استعمله، يشير إلى وجود علامات جسدية، تكشف عن كل ما هو غير عادي وسيء من الناحية الأخلاقية للأشخاص الذي يمارسون سلوكا غير سوي من أجل تمييزهم على أنهم أشخاص منحرفون ومرفوضون اجتماعيا، وذلك بوضع علامات في صور "وشم". وبذلك يعتبر الشخص الموصوم بوصمة اجتماعية غير مرغوب فيه ويحرم من التقبل الاجتماعي أو تأييد المجتمع له، لأنه شخص مختلف عن بقية الأشخاص، وهذا يظهر جليا في خاصية من خصائصه الجسمية أو العقلية أو النفسية أو الاجتماعية.

فمفهوم الوصم إذن، هو تلك العملية التي تنسب الأخطاء أو الآثام التي تدل على الانحطاط الخلقي إلى أشخاص في مجتمع ما، فتصفهم بصفات بغيضة وسمات تجلب العار وتثير حولهم الشائعات، وبالتالي يصير الشخص مرفوضا اجتماعيا وميؤوس منه.

فمفهوم الوصم إذن، هو تلك العملية التي تنسب الأخطاء أو الآثام التي تدل على الانحطاط الخلقي إلى أشخاص في مجتمع ما، فتصفهم بصفات بغيضة وسمات تجلب العار وتثير حولهم الشائعات، وبالتالي يصير الشخص مرفوضا اجتماعيا وميؤوس منه.

ومن خلال المفهوم الشامل تشير كلمة الوصم إلى أن الشخص الموصوم مصاب بوصمة اجتماعية، تجعله غير مرغوب فيه وتحرمه من التقبل الاجتماعي أو تأييد المجتمع له، لأنه شخص مختلف عن بقية الأشخاص، وهذا يظهر في خاصية من الخصائص الجسمية أو العقلية أو النفسية أو الاجتماعية.

مقاربة سوسيولوجيا الحياة اليومية (علم اجتماع المعيش اليومي):

تهتم هذه المقاربة بالبحث في التفاعل الاجتماعي للأفراد والجماعات الصغيرة في الحياة اليومية أو الدراسة الاجتماعية للوحدات الصغرى وهو ما يسمى بعلم الاجتماع المصغر او الميكرو-سوسيولوجيا والذي يساوي البعض بينه وبين سوسيولوجيا الحياة اليومية أو علم اجتماع المعيش اليومي، كما تعمل هذه المقاربة على تفسير معنى الحياة والسلوك اليومي للفرد، ويمكن تطبيق هذا على المهاجرون الأفارقة ، كذلك فإن هذه المقاربة تقوم بالدراسة الكيفية لخبرات وتجارب الحياة اليومية بأنواعها المتعدد كسلوك المارة في الشارع والنوم والمحادثات التليفونية وخبرات العمل والكلام والتعامل مع الوقت" (جوردن، مارشال2007) لذلك يمكن اعتمادها كمقاربة لدراسة وتحليل وتفسير السلوكيات والتصرفات في الحياة اليومية للفئة المدروسة في مجتمعها الجديد الحاضن لها، خاصة في الوصف السوسويلوجي لواقع المهاجرون الأفارقة وما يتضمنه من تفاصيل دقيقة تعكس الظروف والقضايا الملمة بها.

نظرية التفاعل الرمزي:

تعد نظرية التفاعلية الرمزية من أهم النظريات التي تدرس سلوك وأفعال الفرد لفهم النسق الاجتماعي كمدخل لأحد المحاور الرئيسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الأنساق الاجتماعية والعلاقات ما بين الأفراد وهو ما يطرح في قضايا تكيف الكفاءات المهاجرة مع بعضها البعض من جهة ومع الآخرين في وسطهم الاجتماعي الجديد من جهة أخرى، كما أنها تدرس الرموز كمعاني، وهذه المعاني هي حصيلة للتفاعل البشري بين أفراد هذه الفئة والذي يحدد المعاني من خلال القراءة والتأويل والتفاعل مع الرموز، وعلى عكس البنيوية الوظيفية، تنظر التفاعلية الرمزية كنظرية سوسيولوجية إلى المجتمع ليس على أنه مجرد نسق أو تنظيم، بل هي عملية ترابطية وتفاعلية، وأن علاقة ترابط الفرد والمجتمع تكون وثيقة وتتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي الذي يؤثر ويتأثر بالقيم والعادات والتنظيمات الاجتماعية التي هي من نتاجهم وبالتالي فإن التفاعلية الرمزية "تدرس الفرد وسلوكه داخل الجماعة التي تحضنه مع الأخذ بعين الاعتبار عملية التفاعل والتبادل الذي يحصل بين الفرد وذاته وبينه وبين الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه(كعباش 2003") وهذا يمكن من دراسة أفراد علاقات المهاجرون في ما بينهم ومع الآخرين داخل المخيم الحاضن لهم، وخاصة ما يتعلق بقضايا تكيفهم واندماجهم مع الثقافات الأخرى في نفس الوسط، لاعتبار أن هذه النظرية "تسعى لدراسة دور الفرد وسلوكه في المجتمع داخل الجماعة التي ينتمي إليها مع الاهتمام بمكون عملية التفاعل والتبادل الذي يعيش فيه ومن ثمة تركز على الفرد أساسا كغيرها من النزعات النفسية الاجتماعية كما تسعى إلى تحليل نسق الرموز والمعاني التي تترجم في السلوك الفردي والدور الوظيفي والسيكولوجي الذي يقوم على الفرد في المجتمع، وفي نفس الوقت تحرص على دراسة المظاهر الرمزية للتفاعل ومركب العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع" (عبد الرحمن، عبد الله محمد2004) ، وهذا يحدده الوصف الحياة لمهاجرون في الوسط الاجتماعي المعاش، كما تدرس تفاعل وتأويل الرموز والتعبيرات الثقافية التي تجسد هوية هذه الفئة وغيرها من التعبيرات الثقافية في صراعه مع مسألة التكيف مع الآخرين المختلفين حوله ثقافيا واجتماعيا وحضاريا بما يجسد وخصوصيتها.

وفي هذا الإطار يعتمد الباحث على هذا الاتجاه التفاعلي الرمزي في بحثه هذا لما له من حضور في تحليل المفاهيم والمعاني والرموز والسلوكيات والتفاعلات والتوقعات التي تتخلل الأفعال الإنسانية والاجتماعية التي تدور بين الأفراد، وسلوك المهاجر في المجتمع الذي ينتمي اليه بمتغيري التفاعل والتبادل في المجتمع والوسط الذي يعيش في ظله من جهة، ومجتمعه الأصلي الذي غادره من جهة أخرى، فالمهاجر قد اكتسب تنشئته الاجتماعية في مجتمعه الأصلي بما يحمله من ثقافة وتقاليد برموزها ومعانيها، ثم تحول إلى مجتمع آخر يختلف عما سبقه أيضا برموزه ومعانيه، ذلك أن دراسة التفاعلية الرمزية للفرد وسلوكه داخل الجماعة التي تحتضنه مع الأخذ بعين الاعتبار عملية التفاعل والتبادل الذي يحصل بين الفرد وذاته أو بينه وبين الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه يمكن إسقاطه على المهاجر في المهجر" (حفيظة، مخنفر2006).

- **المعيش اليومي للاجئين**

تبين هذه الدراسة حياة الأفارقة بين الوصم والإمكان في خضم الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه من خلال أشكال التفاعل في المجتمع التونسي كالتواصل والصداقة والصراع، فالفعل المتبادل حسب "جورج زيمل" هو "نقطة تشكل ما هو اجتماعي فقد ركز على دراسة الشكل في تحليل المجتمع باعتباره وسيلة لرسم الفواصل بين الأشياء وبين أهمية الحديث عن صراع الحياة ضد الشكل في العموم وضد مبدأ الشكل" (جورج، زيمل 1989) ، كما أن فهم الحياة يكمن من خلال الأنشطة الإنسانية والمعاني التي يقع تبنيها من طرف الظواهر الاجتماعية التي تنتج أفعالا وسلوكيات ناتجة عن علاقات التواصل والتبادل بين الأفراد، لذلك "يمثل المجتمع نتاجا لمجموعة الظواهر والأفعال المرتبطة بعضها ببعض والتي تسعى إلى تحقيق التماسك والوحدة داخل هذا المخيم والفضاء الاجتماعي ، وتحمل في طياتها عدة معاني باعتبار أن المعنى يستمد جوهره من الفعل أو على الأقل هو امتداد للفعل، فالعلاقة وثيقة بين الفعل والمعيش أو أن المعيش هو مختلف تجليات الفعل عبر تداخل مستوياته وجوانبه فيصبح الفاعل الاجتماعي يتحرك بديناميكية(. " تراكي، بوشرارة زناد1994)وقد ركز "زيمل" ايضا على مفهوم الشكل والحياة اليومية كمواضيع رئيسية في تحليله للظواهر الاجتماعية من خلال أفعال الأفراد المتبادلة فيما بينهم والتي تختلف من شخص إلى أخر، ورغم تباين وتقابل عنصري الشكل والحياة "ومع ذلك لا ينفي أو يقصي الشكل الحياة ولا الحياة الشكل وتحتكم علاقة الحياة بالشكل إلى جدلية للانفتاح والانغلاق أي إلى تبادلية تمثل في تفكير "زيمل" لكل الأفعال التبادلية في الحياة العملية.(اليحياوي، شهاب2006) إن سوسيولوجيا "زيمل" هي بمثابة التفكير في التفاعل والتبادل بين الأفراد بما يجسد الصيرورة الاجتماعية من جهة، وهي كذلك الفردانية أي بمعني الفعل الاجتماعي البسيط للفرد من جهة أخرى، وهي كذلك تركز على مختلف أدق تفاصيل الحياة اليومية للفرد بما تتضمنه من مشاعر واحاسيس وتبادل وتواصل مع الآخرين، ومن خلال استنطاق الممارسات اليومية العادية للفرد والحافلة بالمعاني والدلالات لذلك أمكن "لزيمل" أن يؤسس علما للمعيش اليومي يؤثث إلى بحوث واستراتيجيات الفعل والبحث في المسكوت عنه وتعرية الواقع اليومي من تفاعلات وانفعالات الأفراد في علاقاتهم الديناميكية والتي قد تساعدهم على التكيف والاندماج أو لا تساعدهم، ولذلك بين "قوفمان" أن الواقع الاجتماعي لعبة أو مسرحا يتكون من شخصيات متعددة تتقمص أدوارا مختلفة في هذه الحياة، لذلك درس العلاقات بين الأفراد والتبادل فيما بينهم واهتم بانطباعات الأفراد خلال التفاعل فكان الواقع بمثابة مجموعة من قواعد الألعاب التي يمكن التحكم فيها من ناحية الأداء أكثر منها مجموعة من الالتزامات الأخلاقية (.Erving GOFFMAN 1956) في هذا الإطار المعرفي لعلم الحياة اليومية، يمكن الاستفادة واستثمار المفاهيمة وتوظيفها لفهم ما يحدث بين المهاجرين من تبادل وتفاعل وممارسات ومنافسات وصراعات وتناغم في حياتهم اليومية عبر الوصف السوسيو-أنثروبولوجي وبتقنية الملاحظة والمشاركة عن قرب لحياتهم اليومية ولنستخلص ما يدور في عالمهم وما يخامر أفكارهم وتصوراتهم وما ينسج واقعهم الاجتماعي في الغربة. والمؤكد ان علم الاجتماعي اليومي قد احدث في إطار مجتمع غربي وفي إطار إحداث زمانية ومكانية معينة وخاصة منها تأثير النظام الرأسمالي على سلوك الفرد، إلا أنه يستوجب تكييف هذا الجدال النظري مع واقعنا وبحثنا، أي تطويعه مع اعتبار خصوصيات مجتمع دراستنا من حيث عنصري الهوية والثقافة ومن حيث متغيرات الزمان والمكان والتحولات والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية وما فرضه واقع العولمة اليوم، فمدرسة فرانكفورت التي اشتغلت على سطوة النظام الرأسمالي

على تفاصيل الحياة اليومية للمهاجر كغيره من الناس من حيث غلاء الأسعار والحياة المادية عموما. كما أثر خطاب الحياة اليومية للمهاجر بما تروجه وسائل الإعلام من ثقافات وهويات متنوعة ومتعددة تجعل للمهاجر يتخبط أكثر فأكثر بين حفاظه على هويته الوطنية وثقافته الأصلية من جهة وتأثير بث وسائل الإعلام للثقافات الأخرى من جهة أخرى. وبالنسبة لنظرية الإثنوميتودولوجيا فإن هذه يصلح تطبيقها على واقع مجتمعات العالم الثالث على عكس مدرسة فرانكفورت كما رأينا، فالميتودولوجيا لا تضع قوالب نظرية جاهزة بل تترك للباحث مجال النزول إلى واقع المجتمع كما هو حيث يكون الباحث بمثابة الوسيط بين المعرفة العامية والأخرى العلمية، كما أعطت هذه النظرية أهمية لمجمل تفاصيل الحياة اليومية للفرد، واستخدمت المنهج التوثيقي الذي يمكن من رصد المواقف للباحث في الحياة اليومية للفرد، وهذا ينطبق على بحثنا حول الهجرة وقضاياها الفرعية في استخدامه لأنساق رموز الهوية كاللغة والمعتقد واللباس والأكل وغيرها من الرموز التي يستعملها للمهاجر في حياته اليومية في المهجر.

الجانب الميداني:

لقد إعتمدنا طريقة التحليل الثنائي المزدوج السوسيولوجي كمقاربة كيفية لهذا البحث لدراسة وتحليل القضايا والظواهر والمشكلات الاجتماعية بأنواعها الكمية والكيفية في بحثنا هذا، واعتماد الأدوات والطرق السوسيولوجية كمحاولة للبحث في ظاهرة هجرة الأفارقة إلي تونس ومدى تأثيرها ثقافيا واجتماعيا على المجتمع المحلي ، ومدى تكيفها واندماجها مع الواقع الجديد الحاضن لها. تم الاعتماد على طرق وأدوات البحث السوسيولوجي مـــن أدلة مقابلات guide d entretien وبيانات وإحصـــاءات ووثـــائق لدراسة حجم مجتمع الدراسـة وكذلك أداة الملاحظة بأنواعها المباشرة والخفية (المستترة) بالمعايشة والمشاركة عن قرب

- **تقديم مخيم الشوشة:**

المصدر بحث ميداني

أنشأ المخيم يوم 20 فيفري 2011 إثر اندلاع الثورة في ليبيا وتدهور الوضع الأمني بها. ويقع المخيّم على الطريق الوطنية الرابطة بين ليبيا وتونس، ويبتعد على الحدود التونسية الليبية حوالي 11 كلم وعن معتمدية بنقردان حوالي 22 كلم، ولهذا المخيم صبغة اجتماعية إنسانية يضم عديد المنظمات المحلية والدولية على غرار الجيش التونسي

- **قدوم المهاجرون**

المصدر بحث ميداني

- **أبرز الإحصائيات حول اللاجئين**

مجموع الوافدين الأجانب	117536
مجموع المغادرين	108771
المتبقون	8765
مجموع الوافدين التونسيين	31355
مجموع الوافدين	**148891**

المصدر بحث ميداني

➢ **توزيع اللاجئين حسب اللون والدين**

المصدر: تحث ميداني

نظرا لعديد المشاكل التي حدث داخل المخيم بين اللاجئين حاول المشرفين عن ذلك من تقسيم المهاجرون حسب اللغة واللون

المهاجرون الأفارقة ومسالة الهوية كاللغة والدين

تعتبر اللغة العنصر الأساسي المكون لهوية الفرد إلى جانب المعتقد، فباللغة يتواصل أفراد الهوية المشتركة، وبين الأنا والآخر، وباللغة يعبر الفرد عن آماله وطموحاته وشخصيته. وتطرح مسألة الحفاظ على اللغة كرمز للهوية الوطنية موضوعا جدليا، فاعتزاز الوافد بلغته الأم لا يعني عدم التحدث بغيرها، ذلك أن المهاجر الذي لا يتقن لغة الجنسيات المجاورة له في المهجر وخاصة منهم الصغار يعانون خاصة في السنوات الأولى لقدومهم من مشكلات عدم فهمهم للغات الأخرى السائدة ما يساهم في ضياع أوقاتهم ومصالحهم أحيانا، لذلك يستوجب من المهاجر الاحتكاك مع الجنسيات الأخرى وممارسة لغتهم وأن يبذلوا جهدا أكبر لتعلم وإتقان اللغة الأجنبية لسهولة التعايش وإن كان ذلك على حساب لغتهم الأصلية، وهذا ما

يراه المهاجر بضرورة التوفيق بين الحفاظ على لغته ولهجته الأم من جهة، وإتقان بقية اللغات واللهجات للجنسيات الأخرى المعايشة لهم في نفس الوسط، فاللغات واللهجات تختلف من جنسية إلى أخرى وربما يكون من العسير إتقانها، ويكمن المشكل أساسا في الجنسيات الأجنبية، إذ يصعب على المهاجرين إتقان لغاتهم ولهجاتهم بالتالي يكون التخاطب معهم بلغة ثالثة أي مصطنعة ومركبة تجمع مصطلحاتها مزيجا من اللهجات او اللغات الأخرى، وهنا يكمن الخطر والمشكل الثقافي خاصة لدى الناشئة حيث يختلط ويتبعثر الجانب اللغوي لديهم، ويرى البعض الآخر بضرورة التواصل مع الآخرين فسوسيولوجيا نعرف أن اللغة هي بمثابة "السلطة" على حد تعبير "بيار بورديو"، التي تدفع المهاجرين إلى التكيف من عدمه مع الآخرين، ويدفعنا الحديث عن الازدواجية الثقافية واللغوية إلى الانفتاح عن حيز ما يسمى ب"اللامفكر فيه" وهو الكامن في خطاب ولغة الوافدين والمحمل بدلالات ومعاني منها الأبعاد العلائقية والداخلية والعامة لفهم عملية التثاقف التي تتم في إطار تفاعلي وهو ما تطرقت له بإطناب التفاعلية الرمزية، فاستخدام لغة أو لهجة أو مصطلحات الآخرين المتعايشين معهم في نفس الوسط ليس حبا فيها، وإنما لتجنب صعوبة الفهم أو الانزلاق إلى سوء الفهم، وكذلك لسرعة وضرورة التعايش والتكيف والاندماج مع الآخرين، أي أنها ضرورة وليست رغبة، خصوصا وأننا أقلية داخل مجتمع بأكمله، فالتونسيين مثلا عدديا ليسوا كالمصريين او الهنود الذين استطاعوا ان يفرضوا لغاتهم او لهجاتهم بحكم كثرتهم في المهجر وبالتالي للأقلية أن تبحث عن عوامل التكيف معهم وهم في حاجة إليهم وعليهم نحن أن يتنازلوا، بل أنه في إطار التثاقف فإن من يفد على مجتمع هو من يجب عليه أن يتكيف وأن يفهم ويستخدم لغته، ونعرف مثلا صعوبة اللهجة التونسية التي هي خليط من اللغات العربية والفرنسية والأمازيغية والبربرية لأسباب حضارية وتاريخية واستعمارية، فكلمة "باهي" مثلا ويقصد منها "حاضر" قد يفهمها البعض "بيه" الذي هو مصطلح يستخدمه المصريون لتعظيم شأن الجليس ونعته ب "البيه" أو "الباشا"، كذلك مصطلحات باللهجة التونسية من قبيل "يعيشك" والتي يقصد بها (الله يحفظك)، وكلمة "لاباس" وتعني (طيب) وكلمة "ياسر" تعني (كثير)، وغيرها من الكلمات ولم يبتعدوا كثيرا لأن هذه الكلمات أيضا مفهومة ومفهوم معناها في تونس، وبالتالي يصبح من اليسير لسهولة وسرعة تكيفهم أن يتكلموا بما يفهمون وإن كانت كلمات غريبة، بل يعد ذلك من باب التثاقف الحضاري المطلوب بين الشعوب، ولا خوف على الجانب اللغوي من هويتهم وهي في الخير فترة زمنية محدودة في المهجر وتنتهي، وإن اللغة الغالبة دوما هي الراسخة في الأعماق، صحيح أن الأفارقة لهم لغة خاصة في بعض الأحيان وهي لغة "المصطنعة" لكي تصل الفكرة، لبعضهم البعض أو كما يعبر عنها "بيار بورديو" في سلطة اللغة على أنها مرتبطة ب"بالهابيتوس" والذي يعني التطبُّع أو السجيّة أو السَّمْت أو هو نسق من الاستعدادات المكتسبة التي تحدد سلوك الفرد ونظرته إلى نفسه وإلى العالم الذي يكتنفه صحيح إن المهاجر يصطدم بلهجات ومصطلحات غير مفهومة أحيانا في المهجر، ولكن عليه بالتواصل ليحسن التكيف مع كلمات ولهجات تكشف له الواقع بدل أن تحجبه، وهذا ما تطرق إليه أيضا الفكر الماركسي وعبر عنه بالمجال الحيوي للغة أي أن اللغة تعبر عن إيديولوجيات وأفكار ومفاهيم ومصطلحات قد تخص مجتمعا دون آخر ولكنها عملية ازدواجية ثقافية لغاية التكيف والاندماج بين الشعوب فيما بينها، إذ يلعب التعبير اللغوي دورا هاما في استخدام الهوية عندما يتاح للفرد أن يتفاعل مع تأثيرات محيطه ووسطه مع الآخرين من أهل الوسط الذي يعيش فيه أو بقية في المهاجرين من الجنسيات الأخرى، إذ منذ القدم ارتبطت اللغة بهويـة الشعوب وساهمت في تطوير ثقافاتها ونقلها عبر الأجيال، وعدت أيضا عاملا مهما في حفظ تراثها الثقافي والحضاري، ولذلك تعد العلاقة بين الهوية واللغة والثقافة أمرا ثابتا أكدته الانثروبولوجيا الثقافية من ذلك الأنثروبولوجي (فرانز بواس) الذي كان أكثر ميلا إلى الربط بين اللغة والثقافة، ورأى بأن اللغة المشتركة بين المجتمعات هي الناقل الأساسي لثقافتها العامة، وأنه من غير الممكن دراسة ثقافة الشعوب الأجنبية من دون التعرف على لغتها الخاصة، ففهم معاني ورموز لغة أي مجتمع هو المفتاح لفهم ثقافته، واعتبر بأن كلا من اللغة والثقافة على حد سواء في جوهرهما أنظمة رمزية.(بياريونت، وميشال ايزار ترجمة مصباح الصمد) .لقد تبين بأن نظريا ومبدئيا يحاول الكثير من في المهاجرين الحفاظ على لغتهم الأصلية إلا أن ذلك يبدو أمرا صعبا بالنسبة إليهم لأسباب ذكرت، أهمها أن اللهجة لها خصوصياتها الحضارية والتاريخية، فعندما نتأمل العلاقة بين الأرض واللغة، سنتوصل إلى أن اللغة لا تكتسب أهميتها

كعنصر في تحديد الهوية إلا لأنها هي نفسها تستمد وجودها وهويتها واسمها من الأرض التي نشأت بها وتنتمي إليها.

ممارسة الدين:

من المؤكد إن المهاجر سيلاقي في المهجر وسطا اجتماعيا تتخلله أديان ومذاهب متنوعة، وظروف تدين مختلفة بين مجتمعات محافظة وأخرى شديدة الحفاظ وثالثة منفتحة، وإن عد عامل اختلاف الأديان والمذاهب في الوسط المعاش من باب التثاقف أمرا إيجابيا، إلا أنه أيضا يحدث للمهاجر إضرابا على الأقل في بداية هجرته إلى حين التأقلم والتكيف مع الواقع هذا الاختلاف الذي من شأنه أن يحدث اضطرابا في نفوس المهاجرين لكثرة الأديان والمذاهب واختلاف التفسيرات لكثير من المسائل في الدين، وإن وجود خليطا من الأديان والمذاهب من شأنه إضعاف هذا المكون الأساسي في تشكيل هوية المهاجر، حيث يصاب الفرد تشتت بين مقتضيات التكيف مع واقعه الجديد، وضرورة حفاظه على دينه الأصلي، هذه الإشكالية التي يتأرجح في داخلها الفرد المهاجر خاصة، إذ ثمة تعارض بين دينه وأديان الجنسيات الأخرى بالمجتمع الحاضن، وفي كثير من الأحيان يجد الفرد نفسه ممزقا بين هذه المفترقات في المعتقد، فيضطر في بعض الحالات إلى تغيير بعض سلوكياته التي كان عليها من ذلك مثلا في الصلاة مع الجماعة، حيث يجد الفرد نفسه مع الجماعة مضطرا للتنازل عن خصوصياته وإتباع الآخر، ثم يعود إلى سالف تقاليده ومعتقداته عندما يمارس طقوسه الدينية في بيته أو لوحده، وهذا يحدث التشتت العقائدي للفرد، وإن رأى المفكر المغربي "محمد عابد الجابري" بضرورة هذا الاختلاف وبأن الدين لا يشكل هوية إلاّ بالتقابل مع دين آخر، فالإسلام يمكن القول عنه هو هوية المسلمين ولكن فقط مقابل دين آخر كالمسيحية و اليهودية وغيرها في حين يرى البعض الآخر أيضا بأن الهوية تعني الهوية الدينية بالأساس، "فالاعتقاد بديانة معينة قد يؤدي إلى وجود هوية مستقلة، فالدين الإسلامي يؤدي إلى وجود هوية إسلامية، كما أن الاعتقاد بالديانة اليهودية يؤدي إلى وجود هوية يهودية، وكذا الاعتقاد بالديانة المسيحية يؤدي إلى وجود هوية مسيحية، لذا نرى البعض يعتبر أن الدين هو احد الهويات الفرعية في ظل النظم القومية العلمانية وأنه لا يوجد ما يمنع الهوية الدينية من الظهور والتمايز طالما إن ذلك لا يؤدي إلى إلغاء الآخر وبذلك تقطع أسباب مثل هذه الصراعات . Amartya 2006)لقد تطرق الباحث مع بعض المهاجرين الذين أجمع معظمهم على أنهم لقوا عند بداية استقرارهم في وسطهم الاجتماعي الجديد صعوبة التأقلم في هذا الشأن، ومن جهة أخرى يرى البعض الآخر أن اختلاف المذاهب وحتى الأديان فإن هذا التنوع بين عديد المهاجرين يجعلهم لا يشعرون بغربة في معتقدهم في الوسط الاجتماعي الجديد، وهذا يحيلنا على ما يراه المفكر المغربي "محمد عابد الجابري" بـأنّ " الانتماء إلى فئة أو إلى مجموعة تتولد عنه نتائج مرتبطة مباشرة بالاعتراف بالهوية الاجتماعية، فالهوية الاجتماعية أو كما يسميها البعض من الباحثين الهوية الجماعية أساس كل أنواع الهويات فهي ترسي الشعور بالهوية من خلال الشعور بالانتماء على أن الهوية الجماعية تعد بمثابة المشاركة الوجدانية الجماعية وعنصر تجانس وتماسك المجتمع، وبهذا يبدو واحدا أن الهوية الجماعية تضمن استمرارية الجماعة أو المجتمع كما ترسم في الزمن حدود الجماعة داخل وسطها الطبيعي والاجتماعي علاوة على ضبط انتماء الأفراد إلى المجتمع .(الجابري، محمد عابد2015) وقد تطرق الباحث إلى هذا الشأن مع الوافدة "ي" التي رأت أن المسالة الدينية محسومة لدى المهاجرين عادة، إذ لا تمثل بالنسبة إليهم مسألة المذهبية والطائفية أي مشكل، إذ يتسم تفكيرهم بالتسامح مع كل المذاهب والأديان المتواجدة بالوسط الجديد، ليتكيفوا في هذا الشأن بسرعة وسهولة"، أما الوافد "ص" فيرى أن العامل الأكبر الذي جعله يهاجر إلى "السعودية" هو العامل الديني بحكم تواجد الحرمين الشريفين (مكة والمدينة المنورة) بها، والتي يسعى كل مسلم إلى زيارتها لأداء فريضة الحج أو الاعتمار.

حلم العبور بين الحقيقة والخيال

من خلال بعض المقابلات مع بعض اللاجئين يثبتون لنا أنهم قدموا إلي تونس عن طريق الصحراء في سنة 2018 وكان حلمهم الوحيد هو العبور إلي اروبا يقول "أ.د" (اتيت من ليبيا هروبا من الاضطهاد على أمل إن تونس بلد عربي ومسلم ويحفظ الحريات وجدت في تونس العكس)كما تقول سيدة رفضت

الإفصاح عن اسمها كنت اعتقد أن تونس ارض اللجوء لكن وقعت في أيدي لصوص صيّادوا الحرقة فنهبوا مني أموالي) من خلال بعض العينات نلاحظ إن بعض المهاجرون يتعرضون لتحيل وهذا من الأسباب التي جعلتهم ينتقمون عن الشعب التونسي كما تقول "ن.د" إن عديد المهاجرين تمّ الاعتداء عليهم والاستيلاء على أموالهم، في عديد المرات وتختم كلامها بالقول إن الوضعيّة في تونس صعبة،

تبدو شهادات بعض المهاجرون عاكسة لواقع المهاجرين غير النظاميّين في تونس،فهم تعتبرون أن تونس بلد ضيافة لكن ما وجدوه كان لهم بمثابة الصدمة كان لهم طمعًا في مستقبل أفضل، لكن يبقي اختلاف اللون والعرق والدين عنصر مهم في الاندماج حيث يوجد بعض المهاجرون من جنسية سودانية يتمتعان بكل الاحترام، ويعتبر موقع تونس جغرافيا هو بالنسبة لهم إستراتيجي للحرقة هو ما جعلهم يعتبرونها بلد عبور للهجرة إلي اروبا يقول "أ.م" قدمت إلي تونس منذ 2017 وحاولت الحرقة أكثر من مرة وكل مرة أجمع الأموال واستعد للحرقة يتم القبض علينا أما في البحر أو خارج البحر وتفشل الحرقة وأخسر أموالي لكن مازالت سأحاول مرة ومرة حتى أصل إلي اروبا، لكن الاتفاقيات الدولية لتونس كانت عائقا لهم وبذلك يبقي حلم الهجرة إلي اروبا بين الحقيقة والخيال

أهم النتائج :

مع صدور قرار المفوضية السامية لشؤون اللاجئين الذي ينص على غلق المخيم يوم 30 جوان 2014 وقطع جميع المساعدات علة المهاجرون ،قرار أغلب اللاجئين رفض مغادرة المخيم لم يبق أمام هؤلاء سوى التعويل على أنفسهم، فكان الاندماج صعب لما وجدوه من نعت في المجتمع المحلي وهذا النعت بالوصم أثر بشدة في شخصية لأجيء وكانت لهؤلاء المهاجرون إستراتيجيا وهي البحث عن العمل لتوفير المال ثم السعي للحرقة لأوروبا لكن وجدوا صعوبة كبيرة في الاندماج حيث أن تقارب المعتقد كالدين والثقافات لم يكن عاملاً إيجابيًا في عملية الاندماج فتوصلنا من خلال بحثنا أن أغلب اللاجئين كان لهم الشعور بالخوف خاصة عند سماعهم لكلمة يا كحلة يا وصيف كل هذا كان له تأثير سلبي علي شخصية ألاجئ وقد سجلنا من خلال بعض المقابلات التي أجريناها مع البعض من سكان بنقردان الذين شغّلوا اللاجئين انطباعا جيدا تجسد خاصة في جديتهم في العمل وحسن أخلاقهم و قدرتهم على تحمل مشاق العمل و قساوة الطقس، ولكن يشعرون دائما بالميز العنصري وقد حدثنا السيد "م" صاحب محل نجارة يعمل معه ثلاثة من جنسية تشادية وسوداني أنهم يتميزون بالانضباط في العمل والأخلاق، لكن لم يتمكنوا من الاندماج بشكل كلي في المجتمع لعديد الأسباب كالدين واللغة واللون.

وقد أثبت البحث الميداني أن اللاجئين لم يتمكنوا من الاندماج حيث عبر" ن"أن الشعب التونسي شعب عنصري وقال: هذا التميز لم أجده حتى في الدول المتقدمة.

ولكن في نفس الوقت وجدنا بعض حالات الزواج بين اللاجئين وسكان المنطقة ورغم قلتها في حدود أربعة أو خمسة، فإنها تمثل عينات تعكس بوضوح وجود مستوى من اندماج اللاجئين في المجتمع المحلي وهم من جنسية السودانية، ومن بين هذه الحالات حالة في منطقة الجميلة والتي قمت بمعاينتها ومحادثة الزوجة "ف" والزوج "آ" الذيْن أكدا انسجامهما التام في الحياة الزوجية،وكان من أسباب ذلك وجود نفس لون البشرة ونفس المعتقد الدين ، كما رصدنا حالتي زواج أخرى تميزت باتفاق الزوجين على الإقامة بأمريكا، وفي الأثناء بقيت الزوجتان في بن قردان تتمتعان بنفقة زوجيهما الذين توجها إلى أمريكا لإتمام إجراءات الالتحاق بهما حيث يمكن القول أن متغيرا الجنس والحالة المدنية قد ساهما في عملية الاندماج ولو نسبيا

إن دراستنا للاجئين بمخيم الشوشة لا يمكن أن تكون بمعزل عن دراسة الفضاء وعلاقته بتشكيل الهويات الجديدة فصفة "اللاجئ" تخفي وراءها إحساسا بالدونية والشعور بوضعية المقارنة التي ترافق التوصيم اليومي للإفراد وتلعب دورا هاما في تمثل الأفراد لأنفسهم، في الظروف المعيشة مثل قسوة المكان والتنميط الخارجي لهذه الجماعات.

كما سمحت الدراسة الميدانية التي قمنا بتنسيب فرضية" عنصرية التونسي". فمثلاً، التمييز بين اللاجئين وأصبح واقع "المصير المشترك" هو المتحكم في شكل العلاقات داخل المخيم وحتى خارجه،وشعور اللاجئ بأنه أصبح شخص ناقص غير كامل وغير عادي كل هذه العوامل تؤديان إلي نبذ الفرد الموصوم والذي قد يكون عرضة إلي ظاهرة وصم الذات أي فاقد القيمة الاجتماعية فامن خلال الملاحظة المباشرة لاحظنا

بعض مظاهر "العنصرية" بالمجتمع التونسي حيث أن اللاجئين لا يجالسون إلا بعضهم في المقاهي ،كل هذا ساهم في ظهور ظاهرة الوصم ولكن يبقي للمهاجرة إستراتيجيا الهجرة إلي أوروبا حيث كان تموقع تونس جغرافيا وقربها من إيطاليا جعلهم يرفضون الرجوع إلى أوطانهم الأصلية ويعتبرونها فرصة للحرقة عن طريق البحر لكن تعرض السلطات التونسية لهم في البحر والرجوع بهم إلي الأرضي التونسية جعلهم يتمردون حيث يقول" أم "حاولت ثلاث مرات الحرقة إلي ايطاليا و كل مرة السلطات التونسية تعترضني وكل مرة اجمع المال ولم أتمكن من النجاح " كل هذه أسباب جعلتهم يتمردون عن السلطات التونسية

الخاتمة

كشفت الدراسة الميدانية التي قمنا بها تغيرات برزت بوضوح في أوساط العينات المبحوثة فمثلاً، اختفى التمييز بين اللاجئين و أصبح واقع "المصير المشترك" هو المتحكم في شكل العلاقات داخل المخيم و حتى خارجه، وتحول واقع الشتات الذي ميز الفترة الأولى لمخيم الشوشة[2]، والتي مثلت أبرز عناصر التغير في شكل العلاقات بروز البوادر الأولى للاندماج لكن سرعان ما اختفت بوجود عدة أسباب ، وهذا ما يؤكد كذلك الكاتب الفلسطيني باسم سرحان بأن "الأسرة والتكوين الأسري وشكل ومضمون العلاقات الأسرية هي نتاج التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية القائمة في مرحلة تاريخية معينة[3]". فان قراءة هذه التحولات في شخصية اللاجئ مفيد جدا لأنه يقرأ سوسيولوجيا في أنماط السلوك وواقع الانغلاق النفسي والاجتماعي حيث توجد مرونة هامة يبديها هؤلاء اللاجئون في التعامل مع خصوصية الظرفية المكانية والزمنية التي وجدوا فيها عديد المشاكل ، كما امتدت أشكال التواصل وتعددت قنواتها ومن ابرز ملامحها تمكن نسبة هامة من اللاجئين من إتقان اللهجة المحلية البنقردانية لكن يبقي شعور ألاجئ بالخوف وبنبذ الذات يكون عرضة لظاهرة وصم الذات فالوصم يعتبر ظاهرة اجتماعية بامتياز قائمة على جملة من الإستراتيجيات التي تسقطها المجموعة على الفرد أو مجموعة من الأفراد في مجتمع معين هذا وقد اعتمدنا بعض الصور المعبرة عن ظاهرة الوصم وعن المشاكل التي حدثت داخل المخيم من جراء اختلاف لون البشرة

المراجع

المراجع العربية

1. جورج، زيمل، السوسيولوجيا والأبستمولوجيا، مقدمة ل"جوليان فروند" (1981,1989، (P.U.F، ص45
2. جوردن، مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلد الأول،ط2، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2007، ص576
3. تراكي، بوشرارة زناد، المدينة الذاكرة، مساهمة في علم اجتماع المعيش، منشورات .Meridiens Klincksiek باريس، 1994، باريس، 1994، ص 94
4. اليحياوي، شهاب، دور الفاعلين في توزيع الفضاء المديني والتغير الاجتماعي: القصبة نموذجا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2000م، ص72
5. بياريونت، وميشال ايزار ترجمة مصباح الصمد، معجم الاثنولوجيا والانتروبولوجيا، لبنان، ص769 –700
6. الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، دار الطليعة، بيروت، 2051، ط 2، ص 103
7. - أنطونيوس كرم، العرب امام التحديات التكنولوجيا، (هجرة العقول او النقل المعاكس للتكنولوجيا)، مجلة عالم المعرفة، عدد59، نوفمبر 1982، ص98
8. لبيب، علي قاموس الجغرافيا (عربي فرنسي إنجليزي) تأليف، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004 ط1، ص 333
9. الصغير، محمد صالح بن محمد، التكيف الاجتماعي للطلاب الوافدين: دراسة تحليلية مطبقة على الطلاب الوافدين في جامعة الملك سعود بالرياض، جامعة الملك سعود، الرياض، مجلة جامعة القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، شوال 1421هـ، يناير 2001م، ص 36

المراجع بالفرنسية

1. Erving GOFFMAN, the presentation of self in everyday life, University of Edinburgh. Social sciences Research Centre, Edinburgh s Monograph No2. 1956
2. Amartya, Seen, Identity and violence: the illusion of destiny, (New York/London: WW Norton and Company, 2006, pp 74-76